تقرير

شوقي عشقوتي

سباق محموم في سوريا بين المواجهات والمفاوضات: أحداث السويداء لا تلغي المسار الأميركي

وضع الرئيس الاميركي دونالد ترامب خطة لمرحلة ما بعد الحرب مع ايران تحدد الاولويات والاهداف، تنطلق من التحول الاستراتيجي الحاصل في المنطقة وموازين القوى، ومن بيئة اقليمية مختلفة تماما، للوصول الى صفقات كبرى تتناول اعادة تشكيل العلاقات الامنية والسياسية في منطقة الشرق الاوسط

ابرز هذه الصفقات واكثرها طموحا واقربها منالا في هذه المرحلة، هي الصفقة مع سوريا. لكن احداث السويداء التي فاجأت الرئيس الأميركي، ادت الى تجميد هذا المسار الاميركي من دون ان تلغيه.

ما جرى في مدينة السويداء عاصمة الجبل الدرزي في حوران، اعاد شبح الاقتتال الداخلي وخطر نشوب حروب اهلية متنقلة، وطرح مسألة العلاقة التصادمية والمتفجرة بين الدروز ونظام الشرع والمسألة الدرزية بشكل عام، وحيث يمر الدروز في ادق واصعب مرحلة وتجربة في تاريخهم الحديث، في ظل تحولات كبرى تحثهم وتحفزهم على سلوك طرق وعرة واتخاذ خيارات صعبة متأرجحة بين مشروع الاندماج والتعايش مع نظام جديد وغير موثوق به، وبين مشروع الانفصال المدعوم من اسرائيل التي تقدم نفسها حامية للدروز. لكنها في الواقع تستخدمهم في خدمة مشروعها الهادف الى منطقة عازلة وجنوب سوري منزوع السلاح، وعلى الاقل في خدمة الضغوط القصوى ضد نظام الشرع لإخضاعه وحمله على ابرام اتفاقيات امنية وسياسية بالشروط الاسرائيلية.

من الواضح ان الرئيس السوري احمد الشرع عندما قرر الاندفاع في اتجاه السويداء وحسم الملف الدرزي بالقوة، انما كان يريد اقتناص اللحظة المثالية والافادة من فرصة سانحة، مراهنا على عوامل محفزة ومتغيرات ودافعة الى سلوك هذا الاتجاه، وابرزها عاملان:

-1 الافادة من الدعم الاميركي المفتوح والمنطلق بسرعة صاروخية منذ الاجتماع الشهير في الرياض بين ترامب والشرع تحت انظار الامير محمد بن سلمان، وترجم برفع العقوبات الاميركية عن سوريا، ورفع "هيئة تحرير الشام" من قائمة الارهاب. هذا الدعم الاميركي المنسق مع السعودية وتركيا وصل اخيرا الى حد استعداد واشنطن لممارسة ضغوط على الاكراد للتوجه نحو دمشق كخيار وحيد متاح امامهم، ولضمان وحدة سوريا في وجه مشاريع التقسيم واقامة كيانات مستقلة.

-2 التشجع بالمفاوضات الجارية مع اسرائيل، والتي قطعت اشواطا متقدمة وبدأت تلامس عتبة الوصول الى اتفاقات امنية ممهدة لمفاوضات سلام وتطبيع. وربما راهن الشرع على ان اسرائيل لن تقدم على تدخل أعمق و"تورط اكثر" مع الدروز، وعلى الذهاب في اتجاه مواجهات مباشرة مع القوات السورية ستطيح بما تحقق حتى الان من انجازات، وما يلوح من مشاريع اتفاقيات تعول عليها اسرائيل لوضع حد نهائي لمسالة الجولان وامن حدودها الشمالية.

ربما هنا يكمن الخطأ الاساسي الذي وقع فيه الشرع وادى به الى خطوة غير محسوبة في السويداء، عندما لم يدرك عمق الالتزام الاسرائيلي بدروز سوريا المقيمين على حدودها، والحسابات المعقدة التي تحكم مسألة حماية اسرائيل للدروز والمتصلة بـ:

- استراتيجيا تحالف الاقليات التي يسعى اليها اليهود في اسرائيل وقيام دول صغيرة دينية او طائفية او قومية.
- الدفع في اتجاه تقسيم سوريا وازالة خطر دولة سورية موحدة على حدودها الشمالية
- الشرقية. وفي هذا الاطار، يأتي دعم اسرائيل لـ "قسد" في شمال شرق البلاد، وارضاء دروز اسرائيل الذين يشكلون قوة اساسية في جيش الدفاع الاسرائيلي.
- الاستفادة من الواقع الجيوسياسي الذي نشأ بعد سقوط نظام الاسد، من خلال احتلال المنطقة الفاصلة بين البلدين وبسط النفوذ العسكري على كامل الجنوب السوري، من جهة للضغط على دمشق وجلبها الى طاولة المفاوضات، ومن جهة ثانية لتكون المفاوضات المقبلة مع دمشق على المناطق التي احتلتها اسرائيل حديثا وليس على الجولان.

تقدم اسرائيل نفسها حامية للأقليات في سوريا، ولكن اهدافها الفعلية تركز على امرين: الاول هو ابعاد السلطة السورية الجديدة عن جنوب سوريا، لان اسرائيل لا تثق بها ولا تأمن جانبها، وتخشى ان تحول "هيئة تحرير الشام" هذه المنطقة مستقبلا الى منصة هجوم عليها. والثاني هو اقامة شريط حدودي يكون بمثابة حزام امني، ويشمل حدود الاردن ايضا لمنع عمليات تهريب السلاح الى الضفة الغربية عبر الاردن، على ان يتواصل هذا الممر الحدودي (واسمه ممر داوود) حتى منطقة التنف حيث القاعدة الاميركية ومنطقة شرقي الفرات حيث تتمركز القوات الكردية.

لكن واشنطن لا تزال تعتبر ان اللحظة الاقليمية الراهنة مناسبة ومثالية للذهاب في اتجاه سوريا، في ظل "ايران ضعيفة" بعد الضربة الموجعة التي تلقاها برنامجها النووي، وفي ظل انخراط خليجي في المشروع الاميركي بعد زيارة ترامب التاريخية قبل شهرين، واستعداد لتسريع مسار التطبيع مع اسرائيل اذا انهت حربها في غزة، وايضا في ظل قيادة سورية (الشرع) جرى ترويضها واستيعابها لتلقي وقبول الشروط الاميركية، وعملية الاستيعاب هذه كانت انطلقت من الرياض حيث جرى اللقاء الشهير بين ترامب والشرع، وتوجت بإصدار امر تنفيذي اميركي رئاسي لرفع العقوبات عن سوريا، ومرت في شرقي سوريا مع انسحابات اميركية كشفت عن توجه الى تقليص الوجود العسكري الاميركي في سوريا، مقابل موافقة الشرع على انهاء الوجود الفلسطيني وعدم السماح لإيران بالعودة، والتطبيع مع اسرائيل.

وجدت واشنطن في التغيير الجذري الذي حصل في سوريا، تغييرا له انعكاسات كبيرة في المنطقة ولحظة سانحة، وفرصة تاريخية لا

> **ترامب رفع العقوبات عن سوريا بعدما واقف الشرع على اتفاق مع اسرائيل**

تتكرر، مما يبرر حماس الرئيس الاميركي لإعادة ترتيب المنطقة. ومع خروج سوريا من المحور المعادي لاميركا والغرب الذي مكثت فيه أكثر من 5 عقود، بدات تتحول الى الرعاية او المظلة الاميركية، وبوصفها معيارا اساسيا في اجراء تحول كامل في الشرق الاوسط عموما، وان اعادة هذه المنطقة بما تكتنزه من اهمية جيوسياسية وجيو استراتيجية الى الحاضنة الاميركية، تتطلب انهاء حالة العداء بين سوريا واسرائيل، اولا، وبين بعض العواصم العربية الاخرى واسرائيل.

قرار رفع العقوبات الاميركية عن سوريا كان الاجراء والمؤشر الاهم، لأنه يعد تغييرا جذريا في السياسة الاميركية تجاه سوريا التي لطالما صنفتها اميركا "دولة معادية"، ويمهد لانفتاح اميركي كبير على حكومة الشرع، ويفتح الباب امام تقديم مساعدات اميركية مباشرة لـ"سوريا الجديدة"، ومزيد من الاغراءات والحوافز لتشجيعها على الانخراط في جهود ديبلوماسية ومباحثات امنية مع اسرائيل، وعلى الانضمام الى "اتفاقات ابرهام". ولذلك، فان المسار الاستراتيجي للسياسة الاميركية في المنطقة يصب في نهاية المطاف لمصلحة اسرائيل وفي خدمتها.

يدور الحديث هنا عن بناء علاقة استراتيجية طويلة الامد، عبر فرض اتفاقات امنية وسياسية تعيد رسم الحدود الشمالية لإسرائيل. ويتمثل الهدف الاول، في هذا السياق، بتامين حزام أمني عميق يمتد من الحدود السورية مع اسرائيل وحتى العاصمة دمشق، في موازاة حزام سياسي اعمق يتيح السيطرة على طبيعة النظام السياسي القادم في سوريا، بما يؤدي الى تموضعه الى جانب اسرائيل ضد اي كيانات معادية لها داخل البلاد او حتى في خارجها. بمعنى آخر، تريد اسرائيل ضمان ان تكون سوريا حارسا لحدودها ولأمنها.

اما الهدف الثاني والاكثر جدلية، فهو انهاء قضية هضبة الجولان بشكل كامل والى الابد، اذ ترى اسرائيل ان اللحظة الحالية هي الانسب لإجبار النظام السوري الجديد على الاعتراف رسميا بان الجولان ارض اسرائيلية، وانه لم تعد هناك من سيادة سورية عليه، بما يؤدي الى شرعنة الوضع القائم دوليا، بل ومنح اسرائيل ادوات قانونية وسياسية لتعزيز وجودها هناك بشكل مستدام، حتى لو تغيرت الانظمة مستقبلا في سوريا. ◄

تصر اسرائيل على ان يشمل اي اتفاق سلام على الاقرار السوري بالسيادة الاسرائيلية على الجولان، وهي تتمسك به ولا يمكنها التخلي عنه. في المقابل، فان الشرع يرفض ذلك بشكل كامل. الولايات المتحدة تصر على الوصول الى اتفاق او تفاهمات، بغض النظر اذا ما سيطلق عليه اسم "اتفاق سلام" او "اتفاق تطبيع" او "ترتيبات امنية". مما يعني ان الاتفاق يهدف الى انهاء حالة العداء، وعدم حصول اي عمليات امنية او عسكرية من سوريا باتجاه اسرائيل من قبل اي فصيل، وليس بالضرورة ان يتم الوصول الى فتح للحدود او فتح للسفارات. في هذا السياق، يتم العمل على وضع اليات امنية جديدة في الجنوب السوري، اضافة الى الدخول في مفاوضات حول مسار الانسحاب الاسرائيلي من المناطق التي احتلتها بعد سقوط نظام بشار الاسد، وبعد تجاوزها لاتفاق فض الاشتباك. وتطالب اسرائيل بان تتمكن دمشق من الامساك بحدودها، وان كان ذلك بناء على اشراف دولي او بناء على تنسيق بين الجانبين، خصوصا لجهة مواجهة اي تنظيمات او فصائل لديها نية القيام بعمليات عسكرية ضد الاسرائيليين. وهذا يطال أكثر من طرف. لكن أكثر ما يركز عليه الاسرائيليون هم حلفاء ايران، خصوصا انه يتكاثر في الداخل الاسرائيلي الحديث عن وجود اعداء مشتركين لتل ابيب ولأحمد الشرع. المقصود هنا ايران وحزب الله، وانه لا بد من زيادة التنسيق في اطار مواجهتهما. وهناك تشديد اسرائيلي على

"اسرائيل تتمسك بهضبة الجولان وتفاوض على المناطق التي احتلتها بعد سقوط الاسد"

التنسيق لمنع حزب الله او ايران من اعادة تثبيت نفوذهما في سوريا، وعدم جعل الجغرافيا السورية منطلقا متقدما في مواجهة اسرائيل. مع الكشف عن لقاء مرتقب سيجمع الرئيس السوري احمد الشرع ورئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو في البيت الابيض برعاية الرئيس الاميركي دونالد ترامب، يتواصل مسلسل المفاجآت مسجلا واحدة من اهم مفاجآت المرحلة الجديدة في الشرق الاوسط. هذا اللقاء سيحصل في ايلول المقبل، وقبل مشاركة الشرع ونتنياهو في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ويجري في خلاله التوقيع على اتفاقية امنية، تكون ممهدة لـ"اتفاقية سلام وتطبيع" بين سوريا واسرائيل.

الكشف عن هذا التطور المذهل، سبقته جملة مؤشرات وتطورات تصب وتدفع في هذا الاتجاه، ابرزها: رفع واشنطن "هيئة تحرير الشام" من قائمة المنظمات الارهابية كإجراء مكمل لرفع العقوبات الاميركية عن سوريا، وزيارة الشرع الى الامارات التي تلعب دورا وسيطا في التفاهمات بين القيادة السورية واسرائيل، بعلم وتشجيع من السعودية، وتعمل على تذليل العقبة الرئيسية المتمثلة في عدم رغبة اسرائيل سحب قواتها من الاراضي السورية التي سيطرت عليها خارج هضبة الجولان بعد سقوط بشار الاسد، وبحجة ان الشرع لا يسيطر بشكل كامل على منطقة جنوب سوريا التي تريدها اسرائيل منطقة منزوعة السلاح.

اجتماع نتنياهو ـ الشرع في البيت الأبيض، اذا حصل، تحت انظار ترامب ورعايته، يتوج مسارا تراكميا بدا بعد اسابيع من سقوط نظام الاسد وتشكل على مرحلتين، وفي كل مرحلة كانت التطورات العسكرية والتحولات الجيوسياسية اساسا ومنطلقا:

• المرحلة الاولى هي التي اعقبت الهجمات الاسرائيلية الصاعقة في سوريا، ان لجهة تدمير البنية التحتية الاستراتيجية للجيش السوري، او لجهة التوغل في عمق الجنوب السوري والاستيلاء على كل جبل الشيخ، والربط والتواصل مع المناطق الدرزية. ووجهت اسرائيل من خلال هذه العمليات رسالة مباشرة الى الشرع الذي قراها جيدا، خصوصا بعدما جرى استهداف محيط قصره في دمشق بضربة تحذيرية.

• المرحلة الثانية بدأت بعد 13 حزيران، اي بعد الضربات الاسرائيلية ـ الاميركية للمنشآت النووية الايرانية، والتي اسفرت عن تكريس وضع استراتيجي جديد في المنطقة كان بدأ مع سقوط سوريا الاسد، ومن شأنه ان يسرع في تبدل المشهد الاقليمي وفي التحولات "الانقلابية" التي من ابرزها الاتفاقية الامنية بين اسرائيل وسوريا. بعد الاهتزاز الذي اصاب النظام الايراني ودخوله في حالة "انعدام الوزن"، وهو الذي كان الاكثر مناهضة للثورة السورية ودفاعا عن نظام الاسد، تسنح فرصة سياسية مهمة لتحقيق اختراق اسرائيلي مع سوريا مع التحلي بالواقعية حيال ما يمكن تحقيقه في هذه المرحلة. فالاتفاق الامني متاح وظروفه جاهزة، اما اتفاق سلام في اطار "اتفاقات ابراهام"، فانه لا يستند بعد الى اي اساس.